

194580 - كيف تتصرف مع والديها اللذين يعاملانها بقسوة ويشتكون منها دائماً؟

السؤال

ما حكم الشرع في من يعاملها والداها بقسوة ، ويقولان لها : لست بنتنا ، ويطالبونها بالقيام بأشياء على حساب أسرتها ، والقيام بأمر بيتها ، ورغم كل ما تقوم به، مثل : تطيبب الأم ، إلا أنها دائماً تقابل من طرف الأب أولاً بالإنكار والجحود ، وأنها مقصرة ، والأم تابعة له في كل أرائه ، إذا قمت بزيارتهم وأردت خدمتهم فإنهم يقولون : بأن الجيران يتكفلون بهم ، وإذا رجعت يخبرون الناس بأنني جاحدة لا أخدمهم ، وكلما زرتهم رجعت إلى بيتي بقلب ممزق، وزوجي يأمرني بعدم الزيارة إلا مرة في الشهر .

فما العمل ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

كثيرة هي المشاكل التي تعرض في حياة الأسرة المسلمة ، كما أنها متنوعة بتنوع نواحي الحياة المختلفة إلى اجتماعية أو اقتصادية أو نفسية ، ولكن من أخطر أنواع المشاكل تلك التي يعاني فيها الأبناء من تصرفات آبائهم وأمهاتهم ، ذلك أن الواجب أن يقوم الوالدان باحتواء أبنائهم وبناتهم وشملهم بعطفهم ورعايتهم ، وتفهم حاجاتهم ، ومراعاة نفسياتهم ، في حين أن الحال ينعكس في هذا النوع من المشاكل ، حيث تتغير وجهة الخطاب لتصبح موجهة إلى الأولاد ، كي تتسع صدورهم ونفوسهم لما يعانونه من والديهم .

وسوف نعترف لك - مقدما - بأن حديثنا هنا ربما يبدو وكأنه يهون من مشكلة ، هي كبيرة في حقيقة الأمر ، ونقول لك أختنا الكريمة : لا عيب في ذلك ، فإذا قدر أن ذلك التهوين يخفف عنا بعضاً من أعباء تلك المشاكل ، وإحساسنا بوطأتها ، فأهلاً به ، وهو جزء من العلاج :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ * إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وإذا كان لهذه المشكلة طرفان : أحدهما أنت ، والآخر : أسرتك ؛ أمك ، وأبوك ؛ فإن حديثنا سوف ينصب في معظمه عليك ، وأنت الشاكية ، وأنت المظلومة ، كما يبدو لنا من رسالتك !!

وإذا بدا ذلك نوعاً من الاستسهال في التعامل مع المشكلة ، فليكن - أختنا الكريمة - ؛ فلا أنت ، ولا نحن نريد تعقيد المشكلة ،

ولا إلهاب العداوة ، إنما نريد الحل ، بغض النظر عن طرف الخيط الذي نمسك به ؛ فالمهم أن نحل المشكلة ، إن استطعنا ، أو - على أقل تقدير - ألا نزيدها تعقيدا !!

لو كان أبوك يسمع لنا لقلنا له : الواجب الأول عليك ، والدور الكبير لك ، فأنت القيم ، وأنت الراعي ومسئول عن رعيته ؛ لكنه لم يسألنا ، ولا نظنه يسمع لنا صوتا !!

لو كانت أمك تسمع نداءنا لقلنا لها : الله الله في بنتك .

لو كانت أمك تسمع لنا لقلنا لها : (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) رواه مسلم (1837) .

لقد كان من الممكن أن نقول الكثير ، لو كان طرف المشكلة الآخر يسمع لنا !!

لكننا الآن مضطرون إلى أن نوجه حديثنا إلى طرف واحد ، هو أنت ، وأن نحمل عبء الحل على جانب واحد ، هو أنت ، فأنت الخيط الذي نملك أن نجذبه ، إذا كنا نريد أن نحل العقدة التي تؤرقك !!

والبداية الصحيحة في العلاج تبدأ من الحقيقة التي يقرها القرآن الكريم في قوله تعالى :

(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) الشورى/30 ، فتغيير كل واقع إنما ينطلق من أصحاب الشأن ، وليس من غيرهم ، وينطلق فقط حين يتفهمون أن التغيير يبدأ من أنفسهم ، وليس من غيرهم : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد/11 .

فلا بد - أختي الفاضلة - أن تتلمسي مواضع الخلل ومكامن النقص في تعاملك مع أسرتك ، وتعملي على علاجها أو لنقل - تغييرها - ، ولا نقول هذا تجاوزا ، إذ ليس بالضرورة أن يكون هذا الخلل سوء خلق منك - لا قدر الله - ، لكنه قد يكون خطأ في طريقة التعاطي مع المشكلة والتعامل مع الواقع ؛ وكمثال على ذلك ، نقول :

إن الانفعال السريع والغضب أساس كثير من المشكلات ، ولن يكون ذلك علاجا لمشكلة أبدا ، كيف وهو الداء الذي يحتاج إلى علاج ؛ فمن رام تحصيل ما يتمنى فلا بد أن يكتف في قلبه بعض سهام الظلم أو الأذى ، والتقي مُلْجَم !!

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غِيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) رواه ابن ماجه (4189) وحسنه العراقي في " تخریج الإحياء " (4 / 163) .

ويمكنك الاستفادة من الأجوبة التالية في علاج سرعة الغضب : (658) و (45647) .

وأظنك تملكين - والحمد لله - بعض المفاتيح التي يمكن أن تخفف عنك ما أهمك ، فيمكنك - بمؤازرة من زوجك - أن تهدي لوالديك بعض المال ؛ لأن المال يأسر القلوب ، أو تقدمي لهما بعض الهدايا العينية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تَهَادُّوا تَحَابُّوا) .

رواه البخاري في " الأدب المفرد " (208) وحسنه العراقي في " تخریج الإحياء " (2 / 53) وابن حجر في " بلوغ المرام " (277) والألباني في " صحيح الأدب المفرد " .

وبالهدية يمكن أن تتملكي قلب والدك ووالدتك ، وسيكون لذلك أثر عظيم في نفسيهما إن شاء الله.

واعلمي - أيتها الفاضلة - أن قلب الوالدة يظل ينبض بالشفقة والرأفة على ولده ، مهما أظهر من قسوة وشدة ، فحاولي أن تستخرجي كل رحمة في قلب والدتك ، بالتحب والتذل والمسامحة والمصابرة ، ولا أظنك إذا ارتميت في حجر والدتك وقبلت يدها واختلطت دموعك بكلماتك في حبها وشكوى تعب الحياة وألمها إليها : فلا أظنك ترجعين خائبة ، بل أرجو أن تعود والدتك خيراً مما كنت تظنين .

يقول الله عز وجل : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت/34 .

وقد جاء في وصف النبي صلى الله عليه وسلم أنه : (وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ) رواه البخاري (2125) . وأولى من يعامل بالحسنى ويقابل بالمسامحة هما الوالدان ، لما فرض الله لهما من حق عظيم ، حتى قال سبحانه وتعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) الإسراء/24 . والخُلُق الحسن يقتضي تحمل الظلم والأذى من الأحبة ، فكيف بالوالدين !

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " المؤمن ملجم بلجام ، فلا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يجد طعمَ الذل " . وخطب علي بن أبي طالب في أصحابه فقال : (كونوا في الناس كالنحلة في الطير ، فإنه ليس شيء من الطير إلا يستضعفها ، ولو يعلم ما في أجوافها لم يفعل ، خالقوا الناس بأخلاقكم وألسنتكم ، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ، فإن لامرئ ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب) .

وعن محمد بن الحنفية قال : (ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا ، حتى يجعل الله له فرجا - أو قال : مخرجاً -)

روى هذه الآثار ابن أبي الدنيا في كتابه " مداراة الناس " (37 ، 27 ، 41) .

كن كالنخيل عن الأضغان مرتفعاً * يرمى بطوب ، فيلقي أطيب الثمر

ثانياً :

إذا استنفدت كلَّ السبل المتاحة أمامك ، واستمرت الأمور كما هي ولم تلتمسي تحسناً في العلاقة ، وكان ترددك على والديك بالزيارة يتسبب في استمرار المشاكل ، فلا حرج أن تقللي من الزيارات قدر الإمكان ، وتقتصري على أقل ما يحصل به الزيارة والصلة لهما .

فإن لم يندفع ضررهما عنك فلا حرج عليك أن تمتنعي عن زيارتها بالكلية ، ولو لفترة ما حتى ينقطع شرهما عنك وعن بيتك . ولو أمكن أن تنتقلي أنت وزوجك إلى العيش في بلدة أخرى بعيدا عنهما فهو أحسن لكما ، وأبعد عن المشكلات معهما . فإذا غلب على ظنك أن شرهما وأذاها اندفع عنك ، فعودي إلى زيارتهما وصلتهما بما ذكرنا لك من التوجيه سابقا .

وحينئذ :

فأنت في حاجة إلى استصحاب الصبر الجميل ، وكظم الغيظ ، وفعل الخير والصلة لوالديك ، من غير أن تقيدي ذلك بشكر منهم ، أو مكافأة عليه ، ولو بكلمة طيبة ؛ بل تفعلين ذلك كله لله ، ولا تنتظري من غيره أجراً ولا جزاء ولا شكوراً . ثم عليك أن توازني في ذلك كله :

فبر الوالدين والإحسان إليهما : أصل عظيم في الشرع ؛ لكن إن عجزت عن ذلك ، أو ترتب عليه ضرر بأسرتك ، وساء ذلك زوجك : فقللي من ذلك ما استطعت ، بحيث تحافظين على أصل الصلة والمعروف والإحسان ، وتدفعين الضرر عنك وعن أسرتك ، وتسترضين زوجك ، الذي هو أعظم حقا عليك من والديك .

وانظري جواب السؤال رقم : (101321).

والله أعلم .